بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع ﴾

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ / ٤ أيلول ٢٠١٥ م العدد ١٥٤

نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

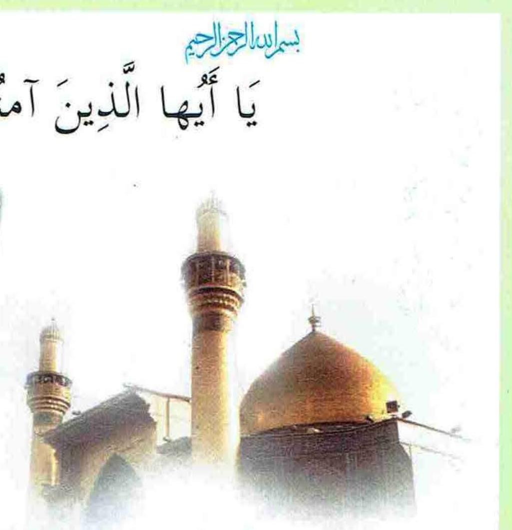

التوسل بالأعمال الصالحة لاستجابة الدعاء

امور يكرهها المعصومون (عليهم السلام) يجب اجتنابها

المرجع اليعقوبي يدعو الى وجود قيادة وطنية واعية موحدة للمظاهرات (١)

دعا سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) النخب المثقفة والاكاديميين من اساتذة الجامعات وغيرهم الى ان يأخذوا دورا واضحا ومحوريا في التظاهرات التي تشهدها البلاد لتوحيد المطالب ووضعها على طاولة المفاوضات باتجاه بلورة مشروع وطني اصلاحي واضح المعالم، ولضبط بوصلة حركة الجماهير وحماية المظاهرات من الانحراف واختراق المندسين وخاطفي الانجازات.

وقال سماحته في كلمة القاها امام عدد من الاساتذة والاكاديميين من (مركز الابداع) للدراسات والبحوث الاستراتيجية بمكتبه في النجف الاشرف: ان غالبية الشعب يطالب بحل المشاكل الظاهرة التي يراها امامه ولا يلتفت الى الاسباب الاصلية المؤدية لها، كما لا توجد مطالب موحدة للمتظاهرين فالمشكلة لا تقتصر على انقطاع التيار الكهربائي او تردي الخدمات بل المشكلة اكبر من ذلك بكثير وهنا تبرز اهمية دور النخب في تشخيص جوهر المشكلة اولا و... الاسباب الاساسية دراسة موضوعية ثم تقديم الحلول الجذرية لهذه المشاكل ثانيا.. وخذ مثالا على ذلك مفوضية الانتخابات التي تكونت من ممثلي الكتل السياسية الكبيرة.. فكيف تتصور انها ستكون مستقلة وقد شكلت لرعاية مصالح تلك الكتل؟ بل كيف تتصوران الانتخابات ستمضي بشكل نزيه ما دام المال السياسي والنفوذ والمصالح والوظائف الحكومية بيد الكتل المهيمنة وكذلك قانون الانتخابات الذي صمم على مقاس المتنفذين لكي يقطع الطريق على اي مشروع نهضوي يضم دماء جديدة، الامر الذي أدى الى إعادة استنساخ نفس الوجوه في كل عملية انتخابية، مع وجود تدجين وتخدير للشعب يساعد على سوقه الى حيث يريد المتسلطون. لذا فالحل لا يقتصر على السياسيين المتسلطين والنظام السياسي وانما يمتد الى المؤسسات والجهات الساندة والمشرعنة للعملية السياسية.

وفي نفس السياق دعا سماحته الى ان تشكل المفوضية من جامعيين متخصصين بهذا الشأن وبمساعدة منظمات المجتمع المدني ومساندة المجتمع الدولي.

كما اكد سماحته على ضرورة ان تكون العلاجات الاصلاحية جذرية وفعالة وليست كشكلية او ترقيعية لانها ستكون خاضعة لتأثير الفاسدين الذين ركب بعضهم موجة التظاهرات لتغطية مفاسده والبعض الآخر اطلق التصريحات النارية لخلط الاوراق ليبقى الحال كما هو عليه ويبقى الشعب يرزح تحت قسوة الفساد والارهاب.

واضاف سماحته: ان عملية الاصلاح ليست لقلقة لسان بل تحتاج الى عمل دؤوب وضغط مستمر فحركة الجماهير وان كانت ليست واسعة وفق المقاييس لكنها ارعبت الفاسدين وهزتهم واجبرتهم على الرضوخ للحل بعد ان اخذت الجماهير دورها وتحركت وقد نبهنا لذلك ودعونا اليه قبل خروج هذه المظاهرات وتحديدا في خطبة عيد الفطر الماضي التي شرحنا فيها عبارة (اللهم اصلح كل فاسد من امور المسلمين) والحديث الشريف (صنفان من امتي ان صلحا صلحت امتي الامراء والفقهاء)، وكلا الصنفين الوارد في الحديث يصنعهما الشعب فالأمراء (الحكام) يضعهم انتخاب الجماهير ودعمهم وتأييدهم كما ان الجماهير هي من تصنع قدرة الفقهاء وقوتهم الميدانية (٢).

واستغرب سماحته: لتأخر حركة الجماهير من وانتفاضتها ولم تقل كلمتها طيلة ١٢ عاما مضت بالرغم من التنبيهات المستمرة والتحذيرات المتوالية من الاخطار المحدقة بالعراق وشعبه التي تضمنتها خطاباته وبياناته منذ عام ٢٠٠٦ والتي حذر فيها من خطر الفساد الاداري والمالي واعتبره اشد خطرا من الارهاب (٣).

كما حذر من سياسة الاستئثار ودعوات التقسيم والانفصال وتحشيد الجماهير طائفيا لتفكيك الائتلافات الطائفية وان تكون الائتلافات والاحزاب السياسية على اساس البرامج الوطنية التي تخدم الشعب (٤).

هذا ويذكر ان سماحته كان قد نبه ببيان هام قبل سقوط الموصل بأكثر من عام الى المخططات الشيطانية التي اعدت للمنطقة الاسلامية والعربية (٥).

واصدر عدة بيانات تزامنت مع سقوط الموصل في حزيران عام ٢٠١٤ والاحداث التي تلتها:

١- رب ضارة نافعة.. سقوط الموصل (٦).
٢- لا بديل عن الحوار والقبول بالتنازلات العادلة (٧).
٣- بعد عام على سقوط الموصل: لا زال الأمل بإعادة إنتاج عراق مزدهر موحد (٨).

(١) صدر بتاريخ السبت ١٣/ذق/١٤٣٦ الموافق ٢٠١٥/٨/٢٩ ...4.html (٢) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر لعام ١٤٣٦ بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٨ http://yaqoobi.com/arabic/index.php/news/5534.html
(٣) خطاب (إذا لم يحترق السياسيون بالنار فإنهم لا يحلون مشاكل البلاد) بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٨ ...arabic/index.php/5/1/2384.html (٤) حوارات سياسية النقطة هـ بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٢٤ http://yaqoobi.com/arabic/ind...
(٥) المشاريع الشيطانية التي أعدت للمنطقة (الإسلامية والعربية) بتاريخ ٢٠١٣/٥/٥ ...rabic/index.php/128/382/384/1012.html (٦) Http://yaqoobi.com/arabic/index.php/news/2790.html
(٧) yaqoobi.com/arabic/index.php/news/5072.html) http://yaqoobi.com/arabic/index.php/news/5073.html) (٨) http://yaqoobi.com/arabic/index.php/news/5526.html

﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ﴾ (الأعراف:١٥٦)

التوسل بالأعمال الصالحة لاستجابة الدعاء (٩)

روت عدة مصادر من الشيعة والسنة عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال (بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل، فبينما هم فيه إذ انحطت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمال عملتموها فسلوه بها -وفي مصدر آخر: تذكرون احسن اعمالكم فادعوا الله عز وجل بها- وفي مصدر ثالث: انظروا اعمالا عملتموها صالحة لله، لعله يفرج عنكم.

قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان كبيران وكانت لي امرأة وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم غنمي بدأت بوالدي فسقيتهما، فلم آت حتى نام أبواي فطيبت الاناء ثم حلبت، ثم قمت بحلابي عند رأس أبوي والصبية يتضاغون عند رجلي، أكره أن أبدأ بهم قبل أبوي، وأكره أن أوقظهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج لهم فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي بنت عم فأحببتها حبا كانت أعز الناس إلي، فسألتها نفسها، فقالت: لا حتى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار فأتيتها بها، فلما كنت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فيها فرجة، ففرج الله لهم فيها فرجة.

وقال الثالث: اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق ذرة، فلما قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها ورغب عنه، فلم أزل أعتمل به حتى جمعت منه بقرا ورعاتها، فجاءني وقال: اتق الله وأعطني حقي ولا تظلمني، فقلت له: اذهب الى تلك البقر ورعاتها فخذها فذهب واستاقها، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي منها ففرج الله عنهم فخرجوا يتماشون (١٠).

أقول: يمكن استخلاص عدة دروس وعبر من هذه الحكاية:

١- ان هذه الحادثة وأمثالها تولد الاطمئنان القلبي العملي بجملة من الاعتقادات التي نؤمن بها نظريا لكننا عمليا لا نذعن بها ولا نتوجه اليه، والإيمان النظري لا يكفي ليكون محركا عمليا حتى يطمئن القلب بها وذلك عندما تقع عمليا من باب (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فهذه الواقعة ترسخ عدة عقائد:

(منها) عقيدة ان الله على كل شيء قدير فكم واحد منا يقع في مثل المأزق وهو مطمئن الى ان الله تعالى قادر على أن يزيل هذه الصخرة بمجرد تعلق إرادته بذلك (كن فيكون)، أما عامة الناس فانهم يعتقدون باستحالة ذلك لاحتياج الأمر الى أجهزة وآليات لرفع الصخرة وعمال من أين نأتي بهم وهكذا، لكن الحقيقة ان إرادة الله تعالى إذا تعلقت بإزالتها استجابة لدعاء هؤلاء فانها تزول، ولا نستكثر ذلك على الخالق المقتدر فنحن البشر

التتمة في الصفحة الرابعة

(٩) حديث سماحة الشيخ المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع الطلبة الأوائل في الامتحان المركزي لفروع جامعة الصدر الدينية في المحافظات وحشد من طلبة جامعة ميسان ووفود أخرى يوم الاحد ١٦ شوال ١٤٣٦ المصادف ٢٠١٥/٨/٢
(١٠) بحار الانوار: ١٤/ ٤٢١ عن أمالي الشيخ الطوسي: ٤٠٨، ورواها الطبراني في كتاب الدعاء الحديث ١٧٨ بسنده عن علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وأخرجه البخاري في باب (التوسل بالأعمال الصالحة عند الدعاء).
(١١) بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٦٦ ح١٤

﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ﴾ (الأحزاب ٢٢)

تحديات العراق المعاصر (١٢)

لعل من السمات البارزة في مسيرة الإمام الصادق (عليه السلام) ونحن نعيش ذكرى استشهاده، وهكذا في سيرة كل الائمة الطاهرين (عليهم السلام)، وهم قادة الإسلام الذين وهبهم الله تعالى للبشرية هو مواكبتهم لتحديات عصرهم، ولا أقول أنهم كانوا بمستوى تحديات عصرهم بل فوق ذلك لأنهم محيطون بعصرهم وما سبقه وما لحقه، ولكن الذي نريد أن نفهمه نحن هو أن نكون بمستوى تحديات عصرنا تشخيصا وعلاجا، ويمكن أن ننظم استطلاعا للرأي العام واستبيانا لتصور الناس عن هذه التحديات والمشاكل التي يواجهها العراق المعاصر ونعني به عراق ما بعد احتلال عام ٢٠٠٣، وسيكون هذا الاستطلاع مصدرا مفيدا للتعرف عليها لأنه سيجمع رؤى متعددة ومن زوايا مختلفة للأمور، وإن كان الكثير منها ملتفتا اليه وواضحا.

وما دمنا شخصنا الموضوع بأنه عراق ما بعد الاحتلال، إذن فالاحتلال هو أول هذه التحديات وقد قلنا في عدة خطابات منذ الأيام الأولى للاحتلال أنه لا يقتصر على الاحتلال العسكري لأن مجيء القوات المحتلة ومكثها انما هو أداة ووسيلة لفرض واقع جديد له عدة أبعاد منها الهيمنة على القرار السياسي ودمج العراق في نظامهم العالمي الجديد، والتبعية الاقتصادية لنظامهم الحر كما يصفون والاستحواذ على خيراته، والافساد الأخلاقي وتبديل الثقافة والتقاليد التي يبنى عليها سلوك الفرد والمجتمع، والانسلاخ من القيم والمبادئ، وتصل حتى التغيير الديمغرافي لأجل مصالح معينة ويبقى هذه الأخطار تنخر في جسد العراق وشعبه حتى بعد رحيل القوات العسكرية للمحتلين.

وجاء مع هذه التحديات التي جلبها الاحتلال الإرهاب الذي اتخذ من مقاومة الاحتلال غطاءا لخداع المغفلين حتى يتقبلوه وينفذوا جرائمه، ووفر له التحديات بيئة مناسبة لانخراط الكثير من الشباب في جماعات العنف التي تمارس القتل والخطف والابتزاز والسرقة والاعتداء على الممتلكات العامة ورغم خطورة هذه التحديات إلا أن الأخطر منها، كما وصفت في الخطاب الفاطمي عام ١٤٢٩ (١٣)، هو فساد المتسلطين الماسكين بمفاصل الدولة واستئثارهم بالمال العام وسرقته تحت عناوين وهمية وتهريبه الى خارج العراق وقد تفننوا بهذا بشكل لا نظير له في التاريخ ولا في الجغرافيا كما يقولون.

ورافق هذه المسارات تدمير ممنهج لمؤسسات الدولة المختلفة وتعطيلها واضعافها وجعلها عاجزة عن القيام بمسؤولياتها في حفظ النظام وحماية المواطنين وحقوقهم والنهوض بالبلاد والقيام بالمشاريع التنموية ومحاسبة المفسدين، ليغطوا بذلك على فشلهم وفسادهم وشغلوا الناس بنزاعاتهم وصراعاتهم ونشر غسيلهم التي لا يرجى منها أي خير سوى ان بعضهم ذراع بعض وابتزاز وقضم كعكة العراق كما يصفونها، فكان هذا الفساد هو الممون للإرهاب والعامل المساعد على انتشاره وتجذره، وأسوأ ما خلفه الاحتلال وجاء به سياسيو العصر الجديد.

وكان التحدي الخطير الآخر تبعية أغلب الطبقة الحاكمة لأجندات أجنبية ينفذونها على حساب العراق ومصالح أهله أما لأنه يعتقد أن هذه الدولة تحميه وتمكنه وتدعمه أو لأن الكثير منهم كانوا في خارج العراق ويعتاشون على مساعدات تلك الدول ويحمل بعضهم جنسية تلك الدول أو جواز سفرها ولازالت عائلته مستقرة فيها فهو يدين بالولاء لها وهمه تسخير ما يستطيع من موارد العراق لمصلحة تلك الدول حتى وهو في أعلى المواقع في قيادة البلاد.

وقد نبهنا الى هذه الأخطاء والأخطار قبل عشر سنوات وطالبنا بإصلاحها وقدمنا الخطط الكفيلة بذلك إلا أنني كنت الوحيد الذي أتكلم أما الآخرون، من الزعامات الدينية والسياسية، فكانوا سكارى بمغانم السلطة والدنيا التي حصلوا عليها بعد الاحتلال واجتمعوا على معاداتي وتسقيطي واقصائي لأنهم لا يريدون ارتفاع صوت من يوقظ الناس من جهلهم وغفلتهم.

ونبهنا أيضا من أول يوم الى الغزو الأخلاقي لإفساد المجتمع من خلال اغراقه بالتقنيات الحديثة لوسائل التواصل الاجتماعي والانترنت وإباحة كل شيء من دون فلترة أو تشفير وهو ما لا تجده حتى دول الغرب المتحللة التي تتخذ الاجراءات لتحصينهم من بعض ما يعرض من الانتاج المدمر لكل القيم أما العراق فمستباح لكل شيء، ووردنا في عدة خطابات عشرات المضار لإباحة هذه الوسائل.

ومن مشكلات العراق المعاصر عملية التجهيل والتسطيح وتسطيح العقول للناس لأن الجاهل يسهل قياده حيث يشاؤون مما أدى الى نقص معرفي وثقافي عام وصل حد التخلف أحيانا ومن المؤسف ممارسة القيادات لذلك حتى بعض الزعامات الدينية ومحاربة من يوقظ الناس وينبههم الى حقوقهم ومصالحهم وتسقيطه واطلاق الشبهات عليه لخوفهم من يقظة الناس ووعيهم وبصيرتهم في الأمور، وأصبح الكتاب وأدوات المعرفة الاخرى آخر ما يثير اهتمام الناس وشغفهم رغم أن الكتاب أرخص الأشياء سعرا وأعظمها فائدة ولعل أوضح مثال إعادة انتخاب الناس للفاسدين والظالمين بعد أن يعضوا على أصابع الندم لانتخابهم في المرحلة السابقة ويقولون سنقطع أصابعنا التي تلونت بحبر الانتخاب. هكذا يساق الشعب الى الظلم والخراب والقتل والنهب طائعا مختارا بفعل ما تقوم به الجهات الدينية والسياسية من مكر وخداع وتجهيل وتقديس الأصنام.

وان أخطر المشاكل التي صنعوها للعراق وأقذرها فتنة الحرب الطائفية التي لا ثمرة فيها ويخرج الجميع منها خاسرين وتمتاز بالقسوة وفقدان البصيرة وعدم التورع عن ممارسة ابشع الاساليب الوحشية لانها تجري بأسم الدين والمذهب وتروج على انها حرب مقدسة.

والمشكلة الخطيرة الاخرى مشروع تقسيم البلاد التي تؤدي الى تمزيق أهله وادخالهم في صراعات دموية مدمرة لا نهاية لها، فتتحارب هذه القومية وتلك وهذه الطائفة وتلك وهذا الاقليم وذاك وهذه المحافظة وتلك وهذه العشيرة وتلك، مع ضعف الدولة وعجزها عن إطفاء هذا الاتون الملتهب، بل أن الكثير من السياسيين والانتهازيين وأصحاب الأجندات الهدامة يغذون هذه الصراعات لأنهم يعتاشون عليها وتديم وجودهم ونفوذهم.

وفي خضم هذه الصراعات انمحت الهوية الوطنية ولم يبق شعور بالانتماء الى العراق أو تدفق الاحساس بالوطنية ولم يعد يوجد ما يوحد العراقيين ويلهب مشاعرهم الا بعض الحالات النادرة، بل لا يستحي بعضهم من الحديث عن عدم وجود أي شيء اسمه العراق.

ومنها سوء ادارة اقتصاد البلد وعدم وجود خطط مدروسة لاستثمار ثرواته، فضاع بسبب ذلك مئات المليارات من الدولارات واقصي المتخصصون والخبراء المهنيون، وهذا ما حصل في كل مؤسسات الدولة التي عبثت بها الاحزاب ورؤساؤوا من أمراء الحروب وآخرها ما تفتقت عنه شيطنة الفساد عند المتسلطين من عرض قطاع الكهرباء للخصخصة وان حاله لا ينصلح الا بإحالته الى المستثمرين، فقد بعد صرف اكثر من ٣٥ مليار دولار من اموال الشعب على هذا القطاع. ولنا تجربة مؤلمة مع احالة مؤسسات الدولة الى القطاع الخاص الذي قامت به وزارة الصناعة وعقود التراخيص لوزارة النفط وبيع اموال وعقارات الدولة حيث تباع بسعر التراب الى المستثمرين ويأخذ المسؤول عمولته من السحت الحرام ثم يحسبها المستثمر بمليارات الدولارات في فاتورة حسابات المشروع الاستثماري ليستوفوا اجور عالية من الشعب المسكين، فهل التفت المتظاهرون المتحمسون لحقيقة ما يجري.

هذه وغيرها بعض مشكلات العراق والتحديات التي تواجهه بل الطعنات التي توجه اليه من القريب قبل البعيد ومن أبنائه قبل أعدائه، ومن الجار والأخ قبل الغريب والأجنبي لأنهم ينفذون طوعا وبذلة التبعية وبيع الضمائر والولاءات أجندات أعداء العراق، فتكالبت عليه النكبة بعد النكبة والجرح على الجرح والكارثة على الكارثة، وحينما أتصور العراق بهذه الحالة ينتقل ذهني الى الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء وهو ينزف دما قد أصابته من الجراحات لأن الطعنة على الطعنة والضربة على الضربة والرمية على الرمية، لكنه (عليه السلام) كان واقفا شامخا أبيا عزيزا منتصرا وأعداؤه مهزومون خائفون مرعوبون من مستقبلهم المظلم، وهكذا العراق يبقى ثابتا شامخا عصيا على الأعداء بإذن الله تعالى وبما ضم في ترابه من أجساد الائمة الطاهرين والأنبياء العظام (صلوات الله عليهم أجمعين) والمشاهد المشرفة. ويوجد ثلة مؤمنة مخلصة شجاعة تمتلك الهمة العالية والروح الكبيرة.

وهنا أمام هذا الحشد المرعب من الأعداء المجرمين مصاصي الدماء وناهبي ثروات الشعوب وأعداء الحياة والحضارة والإنسانية الذين تحزبوا وأعدوا عدتهم للهيمنة على العراق واستعباد أهله واستئصال كل غيور حر شريف علينا أن نستلهم موقفنا مما حكاه الله تعالى من سورة الأحزاب من ثبات وشموخ النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الآخذين بسنته المباركة، حيث يصف الله تعالى أعداء الإسلام واحاطتهم بالمدينة وحصار أهلها للانقضاض عليهم والرعب والهلع الذي أصاب المسلمين، قال تعالى: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ (الأحزاب ١١،١٠) هكذا حاصر عشرة آلاف مقاتل من المشركين واحلافهم من اليهود وعشائر العرب المسلمين في المدينة متوعدين اياهم بالقتل والتدمير فماذا كان موقف المؤمنين إزاء هذه الأجواء التي تنخلع لها القلوب، قال تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ (الأحزاب ٢٢) ومن ملاحظة السياق والمضمون يظهر أن المراد بما وعدنا الله بقوله تعالى في سورة البقرة - وهي من أوائل السور نزولا في المدينة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (البقرة ٢١٤)، فتلاحظ أن آية الأحزاب أكدت تحقق ما وعدت به آية البقرة من اشتداد البلاء حتى يتزلزل المؤمنون ويفقدون الأمل بنزول النصر لكن الله تعالى يطمئنهم ويبشرهم بأن نصر الله قريب.

وهذا ما حصل فقد تبدلت بعد واقعة الأحزاب موازين القوى وتحولت لصالح المسلمين، فوقع صلح الحديبية بعد عام أي في السنة السادسة وهو ما وصفه الله تعالى بالفتح المبين وفي السابعة أدى النبي (صلى الله عليه وآله) عمرة القضاء ثم فتح مكة في الثامنة وانتهت سطوة المشركين ونفوذهم.

إن هذا الدرس من سورة الأحزاب لا يختص بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الذين كانوا معه فالقرآن خالد مستمر بإداء دوره الى يوم القيامة فيشمل كل حالة مماثلة، اذ قال الله تعالى ﴿مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ (البقرة ٢١٤) اي انها سنة جارية في الامم جميعا وهو ما يتعرض له العراقيون من اشتداد البلاءات وكثرتها وتحزب شياطين الإنس والجن عليه، لأنه مركز النور ومنطلق الهداية للعالم أجمع، فيخاف الجميع من نهضته وقيامه وكل منهم ينطلق من زاويته في النظر الى ما يقلقه من العراق، لهذا علينا ان نستلهم الموقف مما ذكره الله تعالى في سورة الأحزاب.

(١٢) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع الوجبة الثانية من الطلبة والشباب الذين يقضون فترة المعايشة الصيفية مع الحوزة العلمية في النجف الاشرف ومجموعة ناشطين في مؤسسات المجتمع المدني يوم الثلاثاء ١٨ شوال ١٤٣٦ الموافق ٢٠١٥/٨/٤
(١٣) راجع خطاب المرحلة ١٦١ (أعداء الشعب ثلاثة: الاحتلال، الارهاب، فساد الحكومة) المجلد ٦ من كتاب خطاب المرحلة، ص ١٢٩

امور يكرهها المعصومون (عليهم السلام) يجب اجتنابها (١٤)

وسائل التربية والتعليم للإنسان كثيرة بعضها معروفة وملتفت اليها كالتلقي المباشر من المعلم والمربي، وبعضها غير معروفة ولا يلتفت إليها:

(منها) الاحسان في العمل والى الآخرين، قال تعالى عن يوسف الصديق (عليه السلام) ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ (يوسف ٢٢)، وقال تعالى عن النبي موسى (عليه السلام) ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين﴾ (القصص ١٤) فإيتاء العلم سواء الفقه او تأويل الرؤيا والحكم، أي الحكمة أو الحكومة كان جزاء الاحسان بأي نحو كان في التعامل مع الغير كإحسان العمل وإتقانه أو الاحسان الى الوالدين او الجيران او الاهل او عموم الناس، بل حتى الحيوان كما في قصة رويتها سابقا عن طالب العلم الذي أرضع قططا صغيرة ماتت امهن بعد الولادة.

(ومنها) التقوى، قال تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة ٢٨٢)، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (الأنفال ٢٩) والفرقان: نور البصيرة الذي يقذفه الله تعالى في قلب المتقي جزاء لتقواه ليميز بين الحق والباطل.

ومثل هذه المصادر للعلوم والمعارف والتجارب الانسانية يجهلها العلماء الماديون الذين يستقون علومهم من التجارب والطرق الطبيعية. فعلى المهتمين بالتنمية البشرية الالتفات الى هذه المصادر وغيرها كزيادة العلم من خلال العمل به (١٥) (ومنها) ما روي عن لقمان الحكيم فانه سئل (ممن تعلمت الحكمة؟ قال: من العميان لأنهم لا يضعون أقدامهم في محل حتى يختبروه) (١٦) (وقيل للقمان: ممن تعلمت الأدب؟ فقال: ممن لا أدب لهم فاجتنبت كل ما استهجنته منهم) (١٧)، ومن طرق التربية وتهذيب النفس الالتفات الى الامور التي عبر القادة المعصومون (عليهم السلام) عن كراهيتهم لوجودها وصدورها من شيعتهم او عموم الناس وكانوا يتألمون منها فعلينا كأتباع مطيعين لهم أن نلتفت اليها ونعالجها بعد أن سهلوا علينا، بذكرها مرحلة التشخيص، وتعرف هذه الامور من استقراء الروايات الشريفة وقد سجلت جملة منها اثناء مطالعاتي:

١- شكوى الثلاثة: القرآن والمسجد والعالم، روي في الخصال عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ثلاثة يشكون الى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه) (١٨)، فشكوى القرآن ورد فيها ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾ (الفرقان ٣٠) وهجر القرآن لا يقتصر على ترك قراءته بل من الهجر ترك العمل بآياته ومضامين الرجوع اليه في كل الامور، مثلا القرآن يقول ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ (النساء ٦٥) بينما تجعل العشائر سننا وفرائض ما انزل الله بها من سلطان تتحاكم اليها، ويقول تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة ٤٤) ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (المائدة ٤٥) ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (المائدة ٤٧) ويقف من ينتسب الى القرآن مانعا من تطبيق أحكامه كما حصل عند تقديم مشروع المحكمة الشرعية والقانون الشرعي للأحوال الشخصية (الجعفري)، مع انه قانون يتعلق بالامور الخاصة لكل إنسان وله الحق في أن يجريها على ما يعتقد.

وقد شرحنا هذه الشكاوى الثلاث في كتاب مفصل اسمه (ثلاثة يشكون).

٢- قلة التفقه في الدين، والدين لا يستقيم بلا معرفة والتي تأتي من خلال المطالعة والاستماع والمتابعة، روي في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا) (١٩) وقال (عليه السلام) (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعرابا فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا) (٢٠) ونقل الامام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (اف لرجل -وفي رواية أخرى: لكل مسلم- لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه) (٢١).

٣- عدم الاعتناء بأمر صلاتهم سواء على مستوى المحافظة على أوقاتها أو الالتزام بحدودها وشروطها وأحكامها التفصيلية من الابتداء بالطهور الى نهايتها، أو على مستوى الإقبال فيها والتدبر في معانيها، أو على مستوى تحقيق الغرض المرجو منها، روى حماد ابن عيسى (٢٢) قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يوما: تحسن أن تصلي يا حماد؟... فقم فصل، قال: فقمت بين يديه متوجها الى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت، فقال: يا حماد لا تحسن أن تصلي؟ ما أقبح بالرجل أن تأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة) (٢٣).

٤- قول الإمام الصادق (عليه السلام): (وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق وقلة الكتمان) (٢٤).

تصوروا أمر الإمام وانزعاجه بحيث يتمنى لو قطع جزء من جسده الشريف لكي يخلص شيعته من النزق أي الخفة والطيش والتعجل في الامور وعدم التصرف بحكمة وروية، ومن قلة الكتمان أي عدم المحافظة على الأسرار والمواقف المتعلقة بقضايا العقيدة أو فضائل اهل البيت (عليهم السلام) أو مثالب اعدائهم أو تقييم الاشخاص والموقف من السلطة والاحداث الجارية التي قد يبينها الإمام (عليه السلام) لأحدهم خاصة ويحذره من البوح بها لأن أغلب الناس لا تستوعبها مثلا أو لأنها تستفز الخصوم وتدفعهم الى الإضرار بشيعة الإمام (عليه السلام) أو أن في بيانها تضييقا على الامة والإمام (عليه السلام) يريد التوسعة عليهم إشفاقا بهم، لكن البعض لا يصبر على كتمان الأمر فيذيعه ويقع المحذور.

وأعتقد أن هذا هو أحد اسباب وجود التعارض في روايات أهل البيت (عليهم السلام) لأن القضية تتطلب أحيانا أن يكون هناك موقف عام معلن وآخر غير معلن يقوله الإمام (عليه السلام) للخواص ليحفظوه منعا من اندراسه فإذا أذيع الثاني كان معارضا للأول ويختلط الأمر على المتلقين.

٥- قلة الأنصار المضحين المطيعين لأمر الإمام والملتزمين بتوجيهاته بدقة وأن كان عدد الموالين والمريدين كثير، لكنهم عند الغربلة والإمتحان قليلون، روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (لو وجدت اربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم) (٢٥) روى سدير الصيرفي قال: (عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت له والله ما يسعك القعود؟ فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف قال: مائة ألف؟ قلت: نعم ومائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا قال: فسكت عني ثم قال يخف عليك أن تبلغ معنا الى ينبع؟ قلت نعم فأمر بحمار وبغل أن يسرجا فبادرت فركبت الحمار فقال: يا سدير أترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت البغل أزين وأنبل قال: الحمار أرفق بي فنزلت فركب الحمار وركبت البغل فمضينا فحانت الصلاة فقال: يا سدير انزل بنا نصل ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا الى أرض حمراء ونظر الى غلام يرعى جداء فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر) (٢٦).

٦- تصديق المدعين للعناوين الدينية الكبيرة من غير تثبت وتحقيق في صحة هذه الدعاوى ومن دون عرضها على الموازين الشرعية فيقودهم هؤلاء المدعون الى الضلال والانحراف ويستخدمونهم لتحقيق مآربهم في الزعامة وتحصيل الامتيازات، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (وانه ليس من احد يدعو الى ان يخرج الدجال الا سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت) (٢٧) أي جهل وتخلف وحماقة وانعدام الورع لدى الناس بحيث أن صاحب كل دعوة حتى لو كانت يقينية البطلان يحصل على أتباع ومؤيدين ينشرون دعوته وينصرونه.

٧- التنازع والتقاطع بين الأتباع، ورد في رسالة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) الى الشيخ المفيد قوله: (لو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا) (٢٨).

٨- قول امير المؤمنين (عليه السلام): (قصم ظهري رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك) (٢٩) وقد تناولت في خطاب سابق الآثار التدميرية لهذين الخطين الخطيرين في المجتمع خط النفاق والرياء وطلب الدنيا بالدين وخط التقدس المتحجر غير الواعي.

(١٤) الخطبة الاولى لصلاة عيد الفطر السعيد التي أقامها سماحة المرجع (دام ظله) في مكتبه يوم السبت ٢٠١٥/٧/١٨ (١٥) راجع خطاب (وقل رب زدني علما) (١٦) كتاب حكم لقمان للريشهري: ص ٨.
(١٧) كتاب حكم لقمان للريشهري: ص ٩. (١٨) الخصال: ١١١ ابواب الثلاثة ح ١٦٢ (١٩) الكافي: ج١ كتاب فضل العلم، باب فرض العلم، (٢٠) الكافي: ج١ كتاب فضل العلم، باب فرض العلم، (٢١) الكافي: ج١ كتاب فضل العلم، باب سؤال العالم،
(٢٢) من ثقات الأصحاب روى عن الإمام الصادق ... طه ١١٤) وتوفي في حياة الإمام الجواد (عليه السلام) (٢٣) ميزان الحكمة: ٥١١٤ عن كتاب من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٠٠ ح ٩١٥
(٢٤) الكافي: ج٢ كتاب الايمان والكفر، باب الكتمان. (٢٥) بحار الانوار: ٢٨/ ٣١٣ عن عدة مصادر منها السقيفة للجوهري ووقعة صفين لنصر بن مزاحم. (٢٦) الكافي: ج٢ كتاب الايمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، ح ٤
(٢٦) الكافي: ٨/ ٢٩٦، الروضة، ح٤٥٦ (٢٧) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص٤٩٩ (٢٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ٢٠/ ٢٨٤، كلمة رقم ٢٤٨. (٢٩) خطاب المرحلة: ج٤ ص ٩١

ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا (٣٠)

قصار كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) تختزن الكثير من الحكمة والهداية والاصلاح والرقي والسمو وتختزل الكثير من التجارب الانسانية لأنها تعطي النتائج جاهزة ويوجد كتاب أسمه (غرر الحكم) للآمدي جمع فيه من قصار الكلمات ما يفوق بحجمه كتاب نهج البلاغة فلا تقصروا بالاستفادة من هذه الكلمات وتحليلها وتطبيقها على ما تعانيه الانسانية من مشاكل وما تصبو اليه من آمال وطموحات.

ومن تلك الكلمات ما جعلناه عنوانا لحديثنا وهي فقرة من الخطبة (٣٢) في نهج البلاغة والتي يصف فيها الامام (عليه السلام) فساد الزمان وهو (عليه السلام) لا يعني بالزمان الايام والساعات المتتالية وتعاقب الليل والنهار وحركة الافلاك لأنها لا يصح وصفها بالفساد باعتبارها ظواهر كونية تسير وفق قوانين دقيقة لا تتخلف عنها فهي مطيعة لله تبارك وتعالى ومنفذة لأرادته تماما وقد عبر عن أمره ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ (يس ٤٠) وإنما يريد بفساد الزمان فساد أهله، ويذكر بعض معالم الفساد:

قال (عليه السلام): (أيها الناس انا قد أصبحنا في دهر عنود، أي مشاكس ومخالف لما يراد منه وزمن كنود أي كافر بالنعمة، يعد فيه المحسن مسيئا، ويزداد الظالم فيه عتوا أي قسوة وطغيانا، لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا) ولنتعلم من أسلوب الموعظة الحسنة عند الامام (عليه السلام) فانه لم يعزل نفسه عن معالم الفساد عند اهل الزمان حتى لا يوجب نفورهم وعنادهم فيتحدث بضمير المتكلم وكأنه مخاطب قبل غيره بما يقول، وهو عليه السلام سيد المعصومين وأكمل الخلق أجمعين بعد أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ومحل الشاهد قوله (عليه السلام) (ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا) والقارعة: الأمر المهول والداهية العظيمة، من القرع وهو الضرب بقوة ومنه قرع الباب. ومن أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم (القارعة) لأنها تقرع الناس فتذهلهم وتبهتهم فينطلقون مذعورين، وتطلق ايضا على كوارث الدنيا قال تعالى ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم﴾ (الرعد ٣١)، وهذه الحكمة الكبيرة التي تشخص مرضا فرديا واجتماعيا سائدا رغم خطورته وهو اننا لا نحذر الأخطار ولا نتوقاها ونتحرز منها رغم الانذارات المتكررة ووجود بوادرها ومقدماتها ونبقى سادرين في الغفلة والعناد والمكابرة والجهل حتى تقع الكارثة وتحل بنا وحينئذ نفزع الى الحلول والاستغاثة والتشبث من الغرق بأي وسيلة فلا نجدها لأن وقتها قد فات ولا ينفع الندم والحسرة، ولا نستفيد من التجربة، وكلما تكررت الحالة يكون الفعل نفسه.

هذا هو حال الافراد تعظهم وتنذرهم وتنصحهم فلا يأخذون بشيء من ذلك حتى يقع المحذور كالطفل حينما تحذره من مواضع الخطر كلمس الكهرباء أو النار والأشياء الضارة لكنه لجهله يصر على العناد والاقتحام فيصيبه الضرر وقد يكون قاتلا (ولات حين مندم) وهذا هو أيضا حال المجتمعات والكيانات يصرون على المضي في طريق الخطأ والخطيئة الا أن يحترقوا بنارها فيطلبون النجدة للخلاص فلا يسعفهم الحل ولا يستمعون الى القادة المخلصين الحريصين عليهم الناصحين لهم الذين يريدون لهم الخير والسعادة فإن مثل هؤلاء القادة ينبهون الى الخطر قبل وقوعه ويشخصون المشكلة بقراءتهم الدقيقة واستشرافهم المستقبل بنور الله تبارك وتعالى ووعي المعطيات والظروف الموجودة ويقدمون الحلول ليتجنبوا وقوع المشكلة ويمنعون من حصولها كالطبيب الحاذق الذي يشخص المرض قبل استفحاله ويحذر ويقدم النصائح ليتجنب وقوعه (٣١)، لكن الناس وزعاماتها المصطنعة لا تعي ذلك ولا تريد أن تتنازل عن بعض مصالحها وامتيازاتها فتجتهد في إبقاء الناس على حالة الغفلة والجهل والتخلف والقداسة الموهومة حتى تقع الكارثة فيندفعون الى إيجاد الحلول نفاقا وإدامة لنفوذهم وهيمنتهم.

والوضع في العراق حافل بالأمثلة والشواهد الكثيرة على ذلك فقد نقرأ الكوارث الحالية التي يمر بها البلد منذ عشر سنوات لأننا كنا نقرأ المنهج الخاطئ والسلوك السيء الذي سيؤدي الى الكارثة حتما فقد ابتلي قادة البلاد بالأنانية والاستئثار وسوء الادارة والتخطيط والاستبداد، والمضي في المشاريع الخطيرة كتقسيم البلاد والتحريض الطائفي وتهديم مؤسسات الدولة وتذويب الهوية الوطنية والتبعية للأجنبي، دون إدراك عواقبها الوخيمة أو أنهم يدركونها لكنهم لا يفكرون الا بمصالحهم الضيقة، وهذه المجلدات كتاب (خطاب المرحلة) حافلة بتلك الخطابات والبيانات، لكنهم لم يصغوا اليها ولم يأخذوا بها بل كانوا يعادونني بأنها مثالية لا واقع لها، أو يصفونني بأني أسبق الزمن وأقدم الحلول قبل أوانها، وأنهم لا يجدون مبررا للأخذ بها! عجبا لهم! أليس من مواصفات القائد الناجح استشراف المستقبل وقراءة الأمور قبل وقوعها لاتخاذ التدابير اللازمة (٣٢).

وهذه كانت واحدة من مشاكل المعصومين (عليهم السلام) مع الناس، فإن كلماتهم تتضمن الكثير من هذه الخلاصات الجاهزة التي لا ندركها الا بعد تجارب انسانية طويلة، فلنلتفت اليها ولندرسها ونستفيد منها لكي نوفر علينا الجهود الكبيرة والخسائر الباهظة.

مثلا بعض الدول الاسلامية أتخذت قرارا بالتشجيع على تحديد النسل وتقليل الانجاب لمصالح توهمتها وبعد عشرين عاما أدركت أنها أخطأت وأنها سائرة في طريق الفناء والاندثار فأصدرت القرارات للتشجيع على الانجاب وتكثير النسل وتقديم المكافآت، بينما الاحاديث الشريفة التي تحث على الانجاب وكثرة النسل توفر الجهود عليهم وتعطيهم النتائج مسبقا، ولا نريد الاستغراق في الأمثلة لأنها تفوق الحصر.

(٣٠) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع الاساتذة والمفكرين والباحثين في مركز ابداع للبحوث والدراسات الاستراتيجية في البصرة وجمع أخر من النخب يوم السبت ١٣ ذق ١٤٣٦ الموافق ٢٠١٥/٨/٢٩
(٣١) حدث السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره): أن شخصا ... فسمع من داخله صوتا فقال ان صاحب هذا الصوت سيموت بعد ثلاثة أيام وقد حصل ذلك فعلا، ولما سئل من أين علم بالغيب، أجاب لا، لكننا نفهم الحالة على أنه شخص صوت المتحدث علة في قلبه او جهازه التنفسي لا تمهله كثيرا فهكذا القائد الحاذق يقرأ الأحداث ويقدم الحلول.
(٣٢) قطعنا حديث سماحته (دام ظله) هنا حول الوضع الراهن في العراق ونشرناه في بيان منفصل.

تتمة: التوسل بالأعمال الصالحة لاستجابة الدعاء

المخلوقون الضعفاء إذا تعلقت إرادتنا بأن نقفز يرتفع الجسد الذي قد يزيد وزنه عن ١٠٠ كغم مباشرة من دون أي مؤثر خارجي سوى الارادة، فلماذا لا يتحقق كل ما تتعلق به إرادة الله تعالى وبيده كل شيء وكل شيء خاضع له ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس ٨٢).

(ومنها) عقيدة ان مع العسر يسرا وهذا ما حصل لهم بالصبر والدعاء والتوسل.

(ومنها) ان ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ وقد جعل الله تعالى لهم مخرجا بتقواهم.

(ومنها) ان الله عند حسن ظن عبده إذا أحسن الظن، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال (والذي لا إله إلا هو، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه) (١١)، فالرواية تدعونا الى حسن الظن دائما ورجاء الخير من الله تبارك وتعالى وسيحقق الله تعالى ذلك لعباده.

٢- حسن أدب هؤلاء الثلاثة مع ربهم وصحة عبوديتهم ومعرفتهم بالله تبارك وتعالى، إذ أنهم مضافا إلى ما حملوه من العقيدة بالله تبارك وتعالى التي ذكرناها في النقطة الأولى لم يقدموا بين يدي ربهم أي عمل يمتون به على الله تبارك وتعالى ولا طالبوا باستحقاقهم لما هم فيه بحيث يزكون أنفسهم وأعمالهم ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء﴾ (النساء: ٤٩) وغاية ما قالوا (اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك)، ومن معرفتهم التفاتهم الى هذه الأسباب للفرج والوصول الى المراد.

٣- إن من أسباب استجابة الدعاء التوسل الى الله تبارك وتعالى والتقرب اليه بعمل صالح قد أحسنه وأخلص النية فيه من دون اتكال على العمل أو العجب به أو الجزم بصلاحه واستحقاقه للعطاء فإن مثله كلها محبطات للعمل ومن دون اقتراح على الله تبارك وتعالى ولكن من باب التقرب الى الله تعالى بشيء يحبه.

فالأول توسل الى الله تعالى بالإحسان الى الوالدين والآية تقول ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة ١٩٥) خصوصا مع الوصية المؤكدة بالوالدين ﴿وبالوالدين إحسانا﴾.

والثاني توسل الى الله تعالى بعمل المتقين الورعين والآية تقول ﴿إن الله يحب المتقين﴾ (التوبة ٤).

والثالث طهر نفسه من مظالم العباد وحقوقهم عنده وتاب الى الله تعالى توبة صادقة، والله تعالى يقول ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (البقرة ٢٢٢).

وهذا أحد تطبيقات قول الصديقة الزهراء (عليها السلام) (من أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط الله إليه أفضل مصلحته)، فمن رغب أن يختار الله تعالى له أفضل الخيرات وأصلحها له وأكثرها نفعا في الدنيا والآخرة فليبالغ في إخلاص عمله من الشوائب.

وقد جربت ذلك في حياتي فإن بعض الذي أعرف لهم أعمالا صالحة أحسنوا فيها للآخرين وقعوا في شدة أو بلاء أو حاجة فسألت الله تبارك وتعالى بما أعرف عنهم من تلك الأعمال ففرج الله تعالى عنهم وقضى حوائجهم ببركة إحسانهم.

إن اتخاذ هذه المقدمة كوسيلة لاستجابة الدعاء من الآداب القرآنية كقوله تعالى ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ (الأعراف: ١٥٦) والله تعالى يحب التوابين فجعلوا الرجوع الى الله تعالى والتوبة اليه مقدمة للدعاء.

ومنها الآيتان ١٩٣، ٥٣ من سورة آل عمران ﴿ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ آل عمران: ١٩٣ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ (آل عمران: ٥٣).

وورد هذا المعنى في الأدعية المباركة مثل (اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك فاغفر لي ما بينهما) وهنا تصريح بالتوسل بأحب شيء الى الله تبارك وتعالى.

والخلاصة أن علينا أن نحسن في أعمالنا ونخلصها لله تبارك وتعالى لنحظى بحبه وقبوله وتكون سببا لاستجابة الدعاء إن شاء الله تعالى.

يمكنكم إرسال استفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني
موقعنا على الأنترنت www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي